مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 00، عدد رقم: 00، سنة 2022، ص:

تاريخ الاستلام(2020/00/00)تاريخ القبول(2020/00/00)تاريخ النشر (2020/00/00)

الهوية الكوردية في رواية حبل سري

i. ملخص البحث:

تعالج رواية «حبل سري» للكاتبة والروائية السورية مها حسن، فكرة الهوية والانتماء للذات وللوطن معاً مكتوبة بقلم عربي، وبمداد فرنسي وجودي، وبروح امرأة كردية تبحث عن الوطن بداخلها مثلما تبحث عنه في خارجها، وبما أن الرواية تعالج ثيمة الهوية في معظم فصول الرواية فقد ارتأينا أن نتناولها في هذه الدراسة من خلال الوقوف عند أهم عناصر الهوية وهي: (اللغة، والثقافة، والمكان، والقومية).

Research Summary

The novel “habl siri” by the Syrian writer and novelist Maha Hassan deals with the idea of identity and belonging to oneself and the homeland together, written in an Arabic pen, with French and existential ink, and with the spirit of a Kurdish woman searching for the homeland within her as she searches for it outside, and since the novel deals with the theme of identity, we decided to address it in This study deals with the most important elements of identity, which are: (language, culture, place, and nationalism).

الكلمات المفتاحية: الهوية، الانتماء، الكورد، حبل سري، مها حسين.

ii. مقدمة البحث في مفهوم الهوية:

أغلب الدارسين يرون صعوبة في بيان ماهية الهوية وحصرها في تعريف محدد، يقول (باتريك شارودو) و (دومينيك منغنو) في معجمهما المشترك: " مفهوم الهوية عسير التحديد، وهو في آن واحد مركزي في اغلب علوم الإنسانية والاجتماعية، وموضوع تحديدات مختلفة بعضها على جانب من الضبابية"1

ويمكن القول أنها عبارة عن "مجموعة من الخصائص والمميزات الأساسية، الاجتماعية، الفلسفية، التي تدل بوضوح على حقيقة أو كيان أو قوم، تجمعهم هذه الخصائص في المعارف زمكاني فتميّزهم عن الآخرين، فهوية الإنسان أو الثقافة أو الحضارة، هي جوهرها وحقيقتها"2

ويرى محمد عابد الجابري ان الهوية "كيان يصير، يتطور، وليس معطى جاهزا ونهائيا، هي تصير وتتطور، إما في اتجاه الانكماش، وإما في اتجاه الانتشار، وهي تعتني بتجارب أهلها ومعاناتهم وانتصاراتهم وتطلعاتهم وأيضا احتكاكها سلباً وإيجاباً مع الهويات الثقافية الأخرى."3

والهوية اطار وجودي وليست صورة وجودية، والهوية للفرد لا يمكن أن تكون مفردة بل هي مجموعة هويات متداخلة ومتمازجة تصبغ الفرد وتكون رمزاً له يميزه ويفرده عن غيره، أو سمة تجتمع عليها جماعة أو طائفة أو شعب وهذه الأخيرة، أي هوية الشعب تعرف بالهوية الوطنية أو القومية. فالهوية الوطنية هي سمات شعب معين داخل وطن محدد، تجمع أفراده وتفرقهم عن سواهم4 .

وقد ارتبط مفهوم الهوية من منظور نفسي عند (سيجموند فرويد) بالأنا الشخصية، حيث" قصد بدلالة الهوية الأنا الفردية الشخصية، ولها دور في تحديد الفرد لمن يكونه بحيث يكون المستقبل المتوقع امتداداً واستمراراً لخبرات الماضي"5.

وهوية الفرد عنده ترتبط بالتأثر بشخصية الأم أو الأب (عقدة أوديب) وعندما يتقمص الولد شخصية الأب فقد أزال عقدة أوديب وأصبح لديه هوية ذكورية، وكذلك المر عند تقمص البنت لشخصية أمِّها6 ، وهكذا يتم بناء هوية كل جنس وفق تأثره . أما (جون بياجيه) فقد أشار إلى أن "النمو العقلي للإنسان هو موضوع تكوين الهوية الشخصية الفردية، وتحديد الهوية كعملية معرفية ذات صلة وثيقة بالقدرة العقلية لإدراك نموذج الآخر لذاتية الشخص" 7.

ويرى (أليكس مكشللي) أن الهوية "مجموعة من المعايير التي تسمح بتعريف قوم أو جماعة ما على نحو اجتماعي"8 أي سمات تمييز بين الفرد أو جماعة، بينما يرى (جنكيز) أن "الهوية جزء

مكمل من الحياة الاجتماعية، وهي تتشكل فقط عبر التمييز بين الهويات في مختلف جماعات، والتي يمكن ربطها بالآخرين" 9.

وجاء في مفهوم آخر " بأن الهوية مركب مبني ومعترف به اجتماعيا وذلك من دلالات الذات الممتدة من عضوية الفرد كالطبقة والعرق واللغة" 10.

بينما ركز (جورج لوكاتش) على الوظيفة الاجتماعية لـ الأنا الروائي، فزمن الرواية عنده هو: زمن الصراع بين الطبقات الاجتماعية في المجتمع؛ ودلالة الرواية لديه، هي: الصراع الاجتماعي، وذلك لكونه مرآة لـ "الكلية الاجتماعية" التي تتراءى فيها، أي مرآة لما يفصح عن حركة التأريخ، ولما يحجبها أيضاً. 11

فالهوية إذن من أهم السمات التي تميز شعوب العالم عن بعضها البعض سواء كانت عبر اللغة أم بيئة المجتمع والثقافة أم نمط الحياة ، فهي تمثل النواة الرئيسية في تشكيل المجتمع والمحافظة على استمراريته وبقائه.

iii. عناصر الهوية

إن هوية كل إنسان تتشكل من مجموعة عناصر تميزه عن غيره بما يحمله من صفات طبيعية أو مكتسبة، ويمكننا القول أن العناصر التي تدخل في تكوين الهوية الفردية أو الجماعية هي:

إن مكونات الهوية متعددة، منها اللغة، والقومية، والدين، والثقافة، والجغرافيا ... إلخ ، وقد يسيطر واحد من الانتماءات، فيكون العنصر الحاسم فيها، فهوية كل إنسان تتشكل من هذه العناصر تميزه عن غيره بما يحمله من صفات طبيعية أو مكتسبة، "فاذا كانت اللغة هي تلك الخاصية الإنسانية التي تعكس العقل الجمعي لفئة من البشر، وتعبر عن رؤيتهم للعالم من حولهم، واذا كانت الهوية هي الحقيقة والذات والماهية.. فإنه يمكن القول دون أن يكون ثمة افتعال: أن اللغة تعد صورة حية لحقيقة أصحابها وذواتهم وماهيتهم. إذ أنّ كل إنسان يحتاج إلى لغة تحدد هويته وكل فرد منا بحاجة إلى هذا الرباط القوي والمطمئن الذي يحدد هويته.

لا يوجد ما هو أخطر من السعي إلى قطع الحبل السري الذي يربط الإنسان بلغته، عندما ينقطع أو يضطرب بشدّة ينعكس ذلك على مجمل الشخصية ومن الضروري أن يتوطّد بوضوح ودون أدنى لبس وأن يُراقب دون كلل حق كل إنسان في الاحتفاظ باللغة التي تحدّد هويته واستخدامها بحرية.

فلغة أي أمة هي وثيقة هويتها ووعاء ثقافتها وحضارتها وحاضنة لتراثها فهي ذاكرة الأمة وتاريخها، ووجود أي أمة مرتبط بوجود لغتها، فالأمم التي انقرضت لغاتها زالت من الوجود، فلا بقاء لأمة يتخلى أهلها عن لغتها.

ومن العناصر الأخرى للهوية القومية التي تعني الولاء والإخلاص للأمة، والشعور بالوعي القومي، وتمجيد أمة واحدة فوق كل الآخرين، والتركيز بشكل أساسي على تعزيز ثقافتها ومصالحها

بدلًا من الدول الأخرى أو المجموعات فوق الوطنية، أي وضع الوطن فوق كل شيء في العالم. ويرجع مصدرها اللغوي إلى "قوم" وتعني جماعة بينهم روابط معينة، ومدلولها السياسي يرتبط بمفهوم الأمة، التي تعني الشعب ذو الهوية الخاصة التي تربطه روابط موضوعية وروحية متعددة، منها اللغة والتاريخ والعقيدة والمصلحة.

وكذلك المعتقدات الدينية والعبادات و المعتقدات هي من العناصر الهوية التي تميز شخص عن آخر، " ففي المجتمعات الإسلامية يعد الدين الإسلامي الهوية الأساسية والرسمية لها، فهو الانتهاء الحقيقي والرمز ومحور حياة المجتمع، ومن خلالها يتفاعل أفراد المجتمع، وحينما يضعف التمسك بالدين والالتزام به في نفوس الأفراد يظل هو الهوية المفقودة"12.

وكل شعب من الشعوب البشرية ينتمي إلى ثقافة متميزة عن غيرها، وهي مجموعة من القيم والعادات والتقاليد، التي تتفق عليها مجموعة من الأفراد والتي تعكس الثقافة السائدة في المجتمع الذي يعيشون فيه، فكل مجتمع له ثقافة خاصة، وكل ثقافة لها مميزاتها، مثل الثقافة اليونانية، والثقافة الرومانية، والثقافة الهندية، والثقافة المصرية الفرعونية، "ثمة علاقة وثيقة بين الهوية والثقافة، بحيث يتعذر الفصل بينهما، وإذ أن ما من هوية إلا وتختزل ثقافة، وقد تتعدد الثقافات في الهوية الواحدة، كما أنه قد تتنوع الهويات في الثقافة الواحدة، وذلك ما يعبَّر عنه بالتنوع في إطار الوحدة، فقد تنتمي هوية شعب من الشعوب إلى ثقافات متعددة، تمتزج عناصرها، وتتلاقح مكوناتها، فتتبلور في هوية واحدة، وعلى سبيل المثال، فإن الهوية الإسلامية تتشكل من ثقافات الشعوب والأمم التي دخلها الإسلام سواء اعتنقته أو بقيت على عقائدها التي كانت تؤمن بها، فهذه الثقافات التي امتزجت بالثقافة العربية الإسلامية وتلاحقت معها، العربية الإسلامية، فهي جماع هويات الأمم والشعوب التي انضوت تحت لواء الحضارة العربية الإسلامية، وهي بذلك هوية إنسانية، متفتحة، وغير منغلقة"13.

وكذلك تعتبر الجغرافيا أو" الأرض ركنا أساسيا من أركان الدولة ووجودها، وهي أيضا من تحدد هوية الشعب التي يعيش فيها وينتمي إليها، فهوية الدولة إذا تتبع هوية الأرض وتنبع منها، عاكسة لها وناطقة باسمها، ومنه لا يمكن تصور هوية دولة مختلفة عن هوية الأرض التي تنتمي إليها وتسود عليها إلا في حالة الاستعمار، بحيث يكون المستعمر بسلطته وما يمثله أجنبيا عن الأرض التي يحتلها ويستعمرها"14.

إن الشعوب التي تعرضت لاختبار السلب والاقتلاع "هي أكثر حساسية بدوال الهوية ، وتستشعر دائما أن عليها رقابة لرموز هويتها، وتأخذ ردة فعل المهددين شكلا معاكسا للخطر . "15

والأرض لا يمكن أن تكون عنصراً للهوية إذا لم تحمل دلالة سياسية وتتلبس بمفاهيم معينة تمنحها التقديس ومعاني تتجاوز سيليكات الرمل ومعادن الصخور وموادها العضوية وما علق بها من بقايا الأسلاف.

"فالهوية تعني كامل الانتماء بكل أبعاده المادية والمعنوية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ولا تقتصر على مجرد الانتماء العصبي أو القبلي أو العنصري أو الجغرافي"16.

والهوية تشكلها عدّة انتماءات، وكل انتماء هو عنصر من هوية مختلفة، ويصعب الفصل بين كل عنصر، فكل عنصر يخدم العناصر الأخرى وتخدمه.

وفي هذه الدراسة سنتناول أهم عناصر الهوية الكوردية التي ورد ذكرها في رواية حبل سري.

iv. عناصر الهوية الكوردية في رواية حبل سري

أولاً: العنصر اللغوي:

ترتبط اللغة ارتباطا وثيقا بالثقافة، وتعد " اللغة وعاء الثقافة، لأنها تشتمل على تاريخ الأمة وعلى أدبها من نثر وشعر، وعلى تراثها الفكري من علوم ومعارف، لذا فهي العنصر الأهم من العناصر البنائية لثقافة الأمة، وهي التي تهب الفرد انتماءه الحقيقي إلى مجتمعه القومي، وهي التي تجعل لكل مجتمع كيانه الثقافي والحضاري الذي يميزه عن سائر القوميات "17.

كما أنَّ "...عنصر اللغة من أهم تلك المحددات جميعا؛ فهو لسان الحال والكاشف المباشر عن هوية الجنس البشري وجنس الخطاب بشكل عام "18 .

وتجمع اللغة بين أبناء الوطن أو الأمة فتكون ملازمة لهوية الإنسان ولهذا تعد اللغة الصوت المعبر عن الفكر والوجدان وعلى الثقافة والتراث الإنساني، وبقدر أصالة اللغة والمحافظة على اللغة الأم أو فقدانها تكون المجموعة البشرية أمة وشعبا أصيلا أو مجرد شتات فحسب"19.

فاللغة هي "القانون الأول الذي يفرض نفسه على كل فرد، إذ تقوده إلى الانتقال من الطبيعة إلى الثقافة؛ أي أنها ترغم الفرد على تمرير عالم الرغبات والتمثلات الطفولية من مصفاة مقولاته الاختزالية، لكنه يحصل مقابل تلك التضحية على القدرة على تسمية الأشياء والتأثير فيها، ويحصد وينال اعتراف الآخر به"20

فاللغة هي "...الشرط الذي تضعه الجماعة أمام الفرد كي يحصل هو على اجتماعية معترف بها، هذا المعنى يحيلنا إلى أنه يجب أن يكون لكل جماعة لغة خاصة بها تعبر داخلها عن ثقافتها أي عن مجموع القيود التي تفرضها على الفرد مقابل حصوله على صفة عضو والاعتراف به "21

فاللغة أساس لوجود الإنسان فعبرها يثبت انتماءه لهوية وثقافة ومجتمع معين، فعن طريقها نعلم خلفية الإنسان ومستواه الثقافي، فنعرف من لغته إمكانياته الثقافية والطبقة التي ينتسب إليها، و" ...من الظواهر الاجتماعية المرتبطة باللغة أن اللغة وسيلة من وسائل التصنيف الاجتماعي إلى طوائف أو قبائل أو مهن أو طبقات أو غير ذلك، إذ تختص كل فئة مما تقدم بلهجة تعرف

بها و تدل على هويتها "22 ، فكل جماعة لها لغتها الخاصة التي تميزها، وتبرز خصوصياتها الثقافية.

فاللغة تعتبر أداة تعبر عن تاريخ الأمة، فهي "الجسد الواصل بين خصوصية الذات وعمومية الموضوع، وهي توجه سلوك أفراده وجماعته ومؤسساته، وهي القلعة الحصينة التي تعبر عن الهوية والوحدة القومية، بل هي الذات والهوية وهي المرآة التي ترى فيها الأمة أهم مقومات شخصيتها، وتجمع فيها مجمل حكمتها وخبراتها، ورصيد قيمتها ومبادئها، التي تعيش فيها وتكافح من أجلها"23.

فاللغة عنصر هام في تشكيل هوية الفرد وحفظ ماضيه وأداة تواصل بين الأفراد، حيث يتفاعل الفرد من خلالها مع الآخر ويشاركه تجاربه عاداته و تقاليده، فاللغة الوعاء الذي يجعل الفرد يعبر عن هويته.

وإذا رجعنا إلى رواية (حبل سري) نلاحظ أن الروائية عبرت عن الواقع الأليم الذي يعيشه الفرد الكردي بكل جزئياته وتجلياته وتفاصيله: من ظلم وقهر وقمع من خلال منعه من أبسط حقوقه، وهي استعمال لغته الأم، وعدم الاعتراف بها ودراستها في مناهج التعليم.

ففي الرواية تتساءل (باولا) عن سبب عدم استخدام اللغة الكردية في التعليم وأن تكون إلى جانب اللغة العربية في الاهتمام؟ وإذا بها تتفاجأ من جواب روني أنه يمنعها من الكلام عن اللغة الكوردية، باعتبار أن الكلام عن اللغة الكوردية تهمة تحاسب عليها الحكومة : تقول الراوية: 24

-" ولماذا لا يكون التعليم موازيا باللغة الكردية؟ "، سألت باولا.

- في المدارس؟

- لم لا؟

ضحك روني وقال: " لا تكرري هذا الكلام، حتى تعودي إلى بلادك بسلام، لماذا إذا كل هذه المشاكل مع الحكومات؟ نحن نطالب بأبسط الحقوق الثقافية، ولا نحصل عليها... نحن نعيش في عالم دكتاتوري، ولسنا في فرنسا بلاد حقوق الإنسان".

إن مطالبة الكوردي بحقه الشرعي في الدراسة بلغة الأم ممنوع عليه، فالسلطة في سورية تريد أن تفرض على الجميع لغة واحدة وتهمّش بقية الأقليات التي لها الحق في ممارسة لغتها باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من وجودها وكينونتها، فإذا كانت اللغة هي وسيلة لتماسك هوية الأمة وحمايتها من التشتت، فلا عجب أن يحاول الفرد الكردي المحافظة على لغته بكل وسائل المتاحة، فالحق في تعلم واستخدام اللغة الأم هو حق غير قابل للتصرف للجميع، فإذا تم القضاء على لغة أي شعب فسوف ينتهي من الوجود.

وعندما يمارس أهل اللغة الرسمية الإقصاء والتهميش ورفض الغير، وعدم احترام خصوصيته، أو الاعتراف بهويته، يصبح الدفاع عن اللغة والثقافة دفاعاً عن الوجود وإثبات الذات، فيبدأ الصراع ومحاولة التشبث بالقيم والثوابت مهما كانت العواقب والنتائج؛ وفي هذا الصدد تقول الراوية: 25

" همست لها قائلة إنهم يعطون دروسا سرية في اللغة الكردية، وحذرتها بأن هذا سر. لم تفهم باولا سبب السرية "

يوحي هذا الحوار مدى الخوف الذي زرعه النظام في نفوس أبناء الشعب الكوردي، إلا أن وسائل القمع والترهيب لم يثنِ من عزيمة الكورد في الحفاظ على لغتهم من خلال إقامة الدروس التي كانت تلقى في البيوت والأندية العامة بعيداً عن أعين رجال الأمن السوري.

وفي سياق آخر من الرواية نجد أن الراوية تشير إلى معاناة الأولاد في التحدث بلغتين مختلفتين لغة الأم الكوردية التي يمارسونها في البيوت وبين الأهل والأقارب، واللغة العربية المفروضة من قبل النظام والتي كانت تمارس في المدارس والدوائر الحكومية كلغة رسمية؛ فهؤلاء الأطفال (الكورد) لا يدركون ما يمارس في حقهم من طمس لهويتهم وتشويش لفكرهم وفرض عليهم لغة أخرى غير لغتهم الأم مما أدّى إلى عيش هؤلاء حالة من الاغتراب والصدمة النفسية وكأنهم يعيشون في بلدين لا بلد واحد، لأنْ "هناك صراع لغوي عندما تتواجه لغتان واضحتا الاختلاف، لغة هي المهيمنة سياسيا- في الاستعمال الرسمي والاستعمال الشعبي- ولغة أخرى مهيمن عليها"26.

تقول ناريمان: 27:

"ولكن المشكلة الحقيقية بالنسبة لهؤلاء الأولاد والبنات، هي اللغة. تصوري يا باولا إنهم يتحدثون بالكردية في المنزل من الصباح حتى المساء، ويستعملون العربية في المدرسة فقط، لذلك تجدين أحدهم مصابا بانفصام في الهوية، سببه اللغة، فما إن يغادر أحدهم المدرسة، وينتقل إلى المدينة لمتابعة تعليمه الجامعي، أو للعمل، فإنه يشعر باغتراب وانبهار وصدمة، كما لو أنه لا ينتقل من منطقة إلى أخرى، بل من بلد إلى آخر" .

إن ذكر الأولاد والبنات في هذا النص هو إشارة إلى الأجيال الكوردية التي مورس في حق هويتها الطمس والانمحاء من خلال توظيف لغة غير لغتهم في الدراسة والتعليم، وإهمال مقصود للغتهم الأم، لذا نجد الراوية تشير إلى هذه المسألة من خلال النص السابق على أنها مشكلة حقيقة واجهت الأجيال الكوردية لسنوات عدة "فالممارسات التي قامت بها الحكومات السورية المتعاقبة، وخاصة بعد استئثار حزب البعث بالسلطة نتيجة انقلاب 8 آذار/مارس لعام 1963، تجاه اللغات غير العربية في سوريا، تختصر في عبارات التهميش والإقصاء والاستئصال والصهر والتذويب، فعلى سبيل المثال كان نشر المواد باللغة الكردية ممنوعاً طوال العقود السابقة، وفي عام 1987 تحديداً، عمد وزير الثقافة إلى توسيع نطاق الحظر ليشمل الأشرطة السمعية والبصرية (الفيديو) للموسيقى الكردية استماعاً وتوزيعاً، وقد صدرت عدة قرارات تمنع على الكردي التحدث باللغة الكرية في الدوائر الرسمية، كما ومنعته من الاستماع إلى الأغاني الكردية في الأعراس والمناسبات الخاصة به 28".

إن الحكومات السورية المتعاقبة لم تكتف فقط بنكران هويات ولغات المكونات الأخرى للشعب السوري، بل عمدت بشتى السبل غير القانونية بمحاولة صهر وتذويب تلك اللغات، وخاصة اللغة الكردية، مع الإقرار بأن السياسة التي اتبعتها الحكومات السورية مع الأقليات غير العربية الأخرى

كانت أقل صرامةً عن تلك التي اتبعتها بحق الكرد، على سبيل المثال سُمِحَ للأرمن والآشوريين بإنشاء مدارس خاصة وأندية وجمعيات ثقافية، يتم فيها تعليم لغتهم بينما لم يقبل من الكورد أي تحرك في تعليم لغتهم 29.

ثانياً: العنصر الثقافي:

تعد الثقافة من أهم الأبعاد التي تدخل في تشكيل الهوية، لما تحمله في طياتها من سمات تميز بها قوم عن قوم. وقد عرّف (مالك بن نبي) الثقافة بأنها: "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة سلوكية مرتبط بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه " 30.

إن الثقافة ترتبط بالمجتمع ارتباطا وثيقا فهي تنقل أعرافه وتقاليده وأفكاره إلى الآخرين، فهي "ذلك المركب الذي يتضمن المعرفة، الفن، الأخلاق والقانون، والأعراف والقدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان بصفته عضواً في الجماعة"31.

وإذا نظرنا إلى تاريخ الثقافة وظهورها نجد" أن المجتمعات الإنسانية لم تعرف الثقافة، إلا عندما عرف الإنسان كيف يشير إلى الأشياء والعلاقات وإذا كانت كلمة الثقافة تنشر في كتابات الأنثروبولوجيين إلى أسلوب الحياة السائدة في مجتمع ما فإن هذا يعني وجود علاقة وثيقة بين اللغة والثقافة وهذا ما جعل ظهور الثقافة مرتبطا ارتباطا وثيقا بظهور الرموز أو العلامات التي تتشكل منها اللغة، ومن هذا المنطق نشأت العلاقة بين اللغة والثقافة باعتبار اللغة الوعاء الذي يحمي الثقافات والعادات وأن الثقافة أيضا تضم داخلها اللغة باعتبارها مكوناً ثقافيا لأي أمة " 32.

ويرى بعض الباحثين أن "نشأة الثقافة وتطورها لا يتم بدون اللغة التي تمكن الإنسان من تحقيق التعاون والاتصال مع غيره، والعمل على تأهيل خبراته هو حفظها وتواصل هذه الخبرة من جيل إلى آخر" 33.

إن الثقافة تتلازم مع اللغة من حيث النشأة، فاللغة التي هي أداة تواصل بين الأفراد، ومن خلالها تنقل هذه الثقافة المكونة لمجتمع ما عبر أفراده ما يؤدي إلى استمراريتها.

وهناك من يعرف الثقافة على أنها "الطريقة الكاملة للحياة لدى مجتمع معين حيث يتم تعلمها وتقاسمها بين أفراد المجتمع، فالأشياء التي يضعها الإنسان ويمارسها هي معطيات ثقافية، فالثقافة بهذا المعنى هي دائما رمزية تكتسب بالتعلم وتشكل مظاهر المجتمع الإنساني"34.

أي أن الثقافة تتمثل في أساليبنا ومعاملاتنا في حياتنا اليومية تكتسب بالتعلم ويتم تداولها بين أفراد المجتمع وهو مظهر من مظاهر المجتمع. فهي "مجموعة من السمات المركبة التي يتميز بها مجتمع من المجتمعات من جميع الجوانب الروحية والمادية والفكرية والعاطفية وهي لا تشمل الفنون والآداب وحدها ولكن تشمل أيضا أساليب الحياة... وموازين القيم والتقاليد والعادات والمعتقدات "35 .

إن الثقافة ليست مقتصرة على المظاهر الخارجية فقط، بل تشمل أفكاره ومشاعره، والنتاجات الأدبية المميزة لشعب ما، وهناك شعوب عديدة في العالم لاتزال تتمسك بتراثها وموروثها وعاداتها خاصة في المأكل والملبس والفنون الشعبية وكل ما يرتبط بالأرض لأن الحفاظ عليها يعني التمسك بالهوية وحمايتها من الاندثار.

وفي رواية (حبل سري) نرى العديد من المظاهر الثقافية الممتزجة بين الثقافة الشرقية والغربية من جانب وبين الثقافة الكردية والعربية من جانب آخر، ويعد اللباس من العناصر الثقافية التي تحدد انتماء وهوية الفرد فهو جزء من الهوية والتاريخ، فللباس التقليدي أهمية كبيرة في تحديد الهوية ومدى الارتباط بالتاريخ والأرض، وقد حاولت الكاتبة إبراز شخصية (روزالين) الكردية على أنها تحافظ على زيها الكردي الذي هو جزء من ثقافتها ومصدر تميزها عن الآخر، فالألوان الكثيرة في الفستان إضافة إلى (الشروال) مما اعتادت على لبسه الفتيات الكرديات كإبراز منهن لثقافتهن واعتزاز منهن بها، تقول الراوية: 36

" حافظت (روزالين) على الظهور بالملابس الكرديّة، التي عدّلت فيها، فكانت تستخدم الألوان ذاتها ولكنها أصّرت على ارتداء (الشروال) الأسود الطويل، بدلاً من الثوب، وصار لها شكلها الكردي المعاصر."

إن المحافظة على الظهور بالملابس الكوردية تحت ظل النظام السوري الذي يمنع ويحارب مثل هذه المظاهر هي تأكيد من الجانب الكوردي على الاعتزاز بثقافة وإرث الآباء والأجداد والتمسك بالهوية التي يمثل اللباس جزء من مظاهرها، فاللباس هو أحد التمثلات الثقافية في الهوية، وفي هذا الصدد يقول (عبد الله الغذامي) "يمكننا أن نقرأ اللباس الذي يلبسه الناس لا بوصفه قيمة معايشة ضرورية، وإنما صورة ثقافية لها معانيها ولها دلالتها تحمل ألوانها المتشابهة " 37.

فالأزياء التقليدية تعد سجلاً يحفظ بين طياته عادات الأمة وتراثها، وبها يمكننا أن نستدل على كثير من المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والمنزلة الاجتماعية، فهي أهم وسيلة للكشف عن تراث الشعوب بمختلف الأزمان وإن اختلفت أشكالها وألوانها، فهي تعبر عن مراحل تاريخية مهمة، ووصلاً للماضي بالحاضر، ومساهماً في ترسيخ الهوية وتثبيت الأصالة وروح الانتماء.

وللشعب الكردي كبقية الشعوب ذخيرة فولكلورية كبيرة ومتنوعة، وهي تمثل تجارب الأجداد وخبراتهم ونقلها إلى أجيال لاحقة فالمرء عندما يريد أن يعرف شعبا يلجأ تلقائيا إلى ثقافته وتراثه لأنهما تقدمان طبيعة هذا الشعب وفلسفته ومعتقداته وتقاليده، فقد كانت الآداب و الفنون لدى مختلف الأمم مرآة للآمال العذبة التي ظلت تدور في ذاكرتها، والتي لا تجد امكانية تحقيقها واخراجها إلى الواقع فتغنت بها لعلها تخفف بها عن آلامها. " ففي الأغنية الفولكلورية الكردية ترى أن الإنسان الكردي يعبر عن أمنياته التي لا تختلف عن أماني الناس الذين يعيشون مرحلته الاجتماعية، هذه الأماني والاحتجاجات – المنبعثة عن الحياة اليومية، والتي ضمنها الفرد الكردي أغانيه التي ينشدها

في الوديان والجبال كما يغنيها الشباب والشيوخ، يبدون فيها شيئاً من الهموم المخزونة في قلوبهم ويتمتعون بقليل من مسرات الدنيا"38

ونرى في الرواية إشارات عدة إلى التراث الشعبي الكردي من خلال شخصية (روزالين) التي تريد أن تنشر ثقافتها الكوردية من خلال اعتنائها بالأغاني ومحاولتها من خلال هذا النص على أن تجري بعض التعديلات للأغنية الكردية كي تكون أكثر قبولاً لدى الشباب الكرد وغيرهم، وحرصها على ترجمة بعض القصائد العربية إلى الكردية. ففي الرواية: 39

"كانت قد اعتادت سماع الموسيقا بصوت مرتفع، وكان الجيران كثيرا ما يشتكون من صوت الموسيقا المبالغ به في المنزل. عشقت الروك، وحلمت أن تدخل التحديث الموسيقي إلى الأغنية الكردية،... كان نموذجها البدئي هو (جوان حاجو)، ثم صارت تقول إنها تجاوزته، بعد أن تعمقت في دراسة النوتة، وصارت تؤلف ألحانها، وهي تترجم بعض القصائد، من العربية إلى الكردية"

وكذلك **"فالأغاني تُعد من أقدم أنواع الفنون الفولكلورية، وألوان التعبير الشعبي الكردي، بصفته سجلا حافلاً يشير بدقة بالغة إلى مواطن الوجع والألم والفرح الذي عايشه الإنسان الكردي لقرون طويلة، ولا يزال، ويوثق تفاصيل حياته في العمل والمناسبات الاجتماعية، كالرعي والغزل والحصاد والأعياد والأعراس، كما يستوعب مظاهرها ووقائعها وحوادثها، فلا تمر ظاهرة أو حادثة مهما كانت صغيرة أو كبيرة في حياة الكرد دون أن تترك لها الأغنية أثرا"** 40

ففي هذين النصين نجد إشارة واضحة في الرواية إلى الأغاني الكوردية وكيف أنها تعبر عن ثقافة الشعب الكوردي وهويته، وتكشف عن أحواله النفسية، وتترجم تفاصيل حياته وما مرّ به من أحزان وأفراح، فالأغنية لدى الكوردي ليست للتسلية وحسب وإنما هي ترجمة لهويته وتاريخه ونفسيته.

"إن الحنين والصدق والوفاء الذي نجده في الأغنية الكردية، يبرز المناحة وكلمات الحزن والمأتم التي ينطق بها الناس، وهي من نتاجهم وجزء من الفولكلور الكردي"41

يقول المستشرق "أبو فيان" عن الفولكلور الكردي" تكمن الروح الشاعرية في أعماق كل كردي وحتى عند الشيوخ الأميين، فإنهم جميعاً يمتلكون القدرة والموهبة في الغناء، وهم يغنون ببساطة وهدوء، يغنون لوديانهم وجبالهم وشلالاتهم وأنهرهم ودورهم وأسلحتهم وأفرستهم، وهم يغنون للشجاعة ولجمال بناتهم ونسائهم وكل ذلك يتدفق في أعماق مشاعرهم وأنفسهم"42.

وكذلك يعتبر الرقص الشعبي من المظاهر البارزة في الثقافة الكردية و له أهميته الخاصة عندهم، ويمتلك الشعب الكردي أنواعاً كثيرة من الرقص الشعبي وهذا يعود إلى أن لكل منطقة رقصاتها الخاصة، انتشرت بمرور الزمن في مناطق أخرى. وفي الرواية إشارات كثيرة إلى الرقص الكوردي من خلال شخصية (روزالين) المحبة للفن والغناء والتراث الكردي، تقول الراوية: 43

أتقنت (روزالين)، التي صار اسمها الفني في ما بعد (فالنتينا)، الرقصات الكرديّة، الديلانة، بكل أنواعها: الشيخاني والدبكة التقليدية، بل وابتكرت أيضا بعض الرقصات التي تمزج الفولكلور الكردي، بالحداثة الفنية، من روك وإيقاعات غربية.

فالدبكة تعكس ولع الكوردي بالتراث وحنينه إلى الماضي، كما يظهر لنا في هذا النص أن الرقصات الكردية تتميز بأنواع مختلفة، فهي تمثل ثقافة جميع مناطق كردستان.

ومن مظاهر الثقافة التي رصدناها في الرواية هي ذكر الاساطير والحكايات الخرافية التي تعود لأزمان بعيدة جدا، فالأمة الكوردية مثلها مثل كل الأمم الأخرى لديها العديد من الأساطير والحكايات عن أصولهم ونشأتهم، وفي الرواية ثمة إشارات كثيرة إلى ذلك، تقول الراوية: 44

جدة عمتي حنيفة، ورثت هذا العقد من أمها، نزيهة... وهي تقول الآن إن قصة هذا العقد طويلة، تعود إلى عدد من الجدات والأمهات، إلى أن تصل إلى المرأة الأولى التي حصلت على العقد، ويُظنّ وهذا على ذمّة جدتي التي تؤكد هذا، أنه يعود لامرأة من أصل غير إنسي، إذ وقعت تلك المرأة في غرام رجل من الإنس، وأنجبت منه، وكانت من هنا بداية تكوّن الأكراد حسب بعض الحكايات، أي إنهم مزيج من البشر والجن معاً. وتلك المرأة، المنجبة الأولى للنسل الكردي، كانت قد تلقت هذا القرط... انظروا إليه، كما لو أنه مصنوع اليوم، لا خدش فيه ولا كسر ...نعم، ماذا قالت، أجل، تلقّته من أمها، ليلة إنجابها ابنتها الأولى، لتحصّنها من الأرواح الشريرة الحاسدة. لأن الإنسيّ الذي تزوجته تلك الجنية الباهرة الجمال، كان أجمل من كل الجان، وأقواهم قدرة وبأساً وأكثرهم ذكاء، فحسدتها عليه بنات الجنّ، وهكذا تحصّنت سلالتها طويلاً، ليس بفضل هذا العقد فقط، ولكن كان له دوره أيضا.

إن استثمار الروائية الحكايات عن أصل الكورد خاصة هذه الحكاية التي تعد من الأساطير والخرافات القديمة تشير إلى جملة من الأمور مثل قوة وذكاء الكرد وجمالهم وأن سبب بقائهم إلى الآن _ رغم كل ما مورس بحقهم من الإبادة والتهجير والقتل_ يعود إلى تلك الأسطورة والحكاية التي تمزج ما بين الكورد والجن وسواء صحت هذه الحكاية أم لا فإنها تعطي للكوردي سبباً قوياً للبقاء والاستمرار في الحياة باعتبار أن أصولهم تعود إلى أزمان بعيدة وأنها امتزاج ما بين الإنس والجن.

ثالثاً: العنصر المكاني:

إن الأرض أو المكان تمثل أساساً للهوية، لأن الأرض تمثل المكان الذي يولد فيه الإنسان ويحتضنه صغيراً، وفيه يسجل ذكريات لحظاتٍ عاشها فوقها، " فالمكان يمثل جميع العلامات الجغرافية التي ترتبط بتشكيل خصائص المكان وهوية الإنسان أو المجموعة البشرية التي تعيش عليه منذ القدم حيث نسجت العصور ملامح لعلاقة فريدة بين الإنسان والمكان الذي يقطنه تجسدت عبر العديد من الدلالات مثل الاطمئنان والاستقرار والراحة والشعور بالحب والأمان وكذلك الحماية التي يمنحها هذا المكان لساكنيه، ومن ثم ارتقى هذا المفهوم إلى ما اصطلح على تسميته ((الوطن))

ضمن جدلية العلاقة التاريخية بينهما حيث أشارت كل الوقائع التاريخية إلى أن الإنسان ارتحل عن أمكنة عديدة حينما لم يعثر فيها على مقومات الأمن والاستقرار" 45.

و"تعد الهوية والوطن قبل كل شيء مكان أو موقع مبرر وظرف مقدر، ذلك أنه مأوى سكن الإنسان وهو في ضمير الوجود قبل أن يصبح الإنسان من ساكنيه، أو من أهله المنتمين إليه، وكل إنسان يولد له موقع في شجرة أنساب عائلة بالوطن، وقد يولد بعض في غير أوطانهم ، ويموت آخرون في غير أوطانهم، كما قد يقيم أناس بغير أوطانهم لكن القاعدة في الحياة أن الأرض / الوطن تمثل أم الإنسان التي تحمله من المهد حتى يضمه اللحد، بعد أمه التي تحمله من نفخة الروح إلى أن يقلّه المهد"46.

ورواية (حبل سري) تدور حول جذور الإنسان وأرضه وانتمائه فشخصية البطلة (صوفي) الباحثة عن هويتها ووطنها حالها كحال شعبها تجسيد للإنسان الذي يرى أن الوطن جزء لا يتجزأ من هويته وانتمائه ووجوده في هذه الحياة، ففي الرواية: 47

"لم تكن معاناة صوفي مجرد ترفٍ فكري، أو نزق سطحي، بل حالة عميقة واستثنائية من عدم الإحساس بالأمان، والحاجة إلى التنقل الدائم بحث عن مكانٍ ما، مكان لا يشبه كل المكنة التي عرفتها.

حالة لا يمكن تسميتها بـ(قلق العيش)، ولا رهاب الزمن، ولا اللا هوية ...حالة لم توصف بعد، وتجهد صوفي في العمل على توصيفها عبر تدوين حواراتها مع فيرونيك، محللتها، التي مضى على عملهما معاً أكثر من خمس سنوات، ولم تستطع صوفي خلالها أن تحس بالانتماء، بالإقامة. حاولت فيرونيك أن تشرح لها طويلا أن الإقامة ليست المكان المهم هو الكائن ذاته: صوفي هي التي تحس بالإقامة أينما أقامت والعلاقة مع الأرض أو الوطن أو الجذور، هي علاقة الفرد مع ذاته. أنت أنت في أي مكان، أنت من تسبغ الانتماء على المكان الذي أنت فيه. أنت المكان.

لم يفلح التحليل النفسي في منح صوفي الشعور بالارتباط بالمكان، بالتجذّر في أرض ما: منزل، غرفة، سرير، رجل.

قالت لها دومينيك إن الوطن ليس أوراقا، والإقامة ليست سجلاّت، بل هي الخفقة... حيثما يخفق قلبك، هذا

هو الانتماء".

إن إحساس (صوفي) بعدم الأمان نتيجة عدم وجود مكان تنتمي إليه وعدم وجود وطن يشعرها بوجودها أثر على كل جوانب حياتها وجعلها في حالة تحركٍ دائم وعدم استقرار في مكان واحد، ولهذا لم تشعر بالأمان في أي منزل ولا لدى أي رجل، ما جعلها تلجأ إلى محللة نفسية تساعدها على التغلب على هذا الشعور، ولكن حتى بعد مرور خمس سنوات على عملهما معاً لإيجاد العلاج إلا انها لم تستطيع أن تتغلب على إحساسها بعدم الانتماء إلى أي مكان.

ونجد في الرواية أيضاً: 48

"إن غياب الوطن، يعني اللا توطين، يعني أننا في هجرة وترحال وتيه أزليّ.

محكومٌ عليكم بالتيَّه، أيها الأكراد.
إن الثابت في حياتي هو الترحال. لا أعرف طعم الاستقرار، لا من الداخل، ولا من الخارج، أشعر بقوة دفع في داخلي، شيء يقول لي هيّا تحرّكي، وكأن ثباتي أو استقراري أو ارتباطي بحالة أو مكان أو شخص أو علاقة... هو خيانة ما، ولا أدري خيانة لمن ! "

وهذا حال الكرد دون وطن، فغياب الأرض بالنسبة للكورد يعني لا وجـود لـهم، واللا وجـود يعنـي الضـياع والتشـرد.

إن ما يسمى بشعب هو تجمع سياسي من المجموعات والأفراد، ليسوا في حاجة لكي يرتبطوا عبر عرق أو لغة، ولكن عبر فضاء مشترك، إن الشعب هو الأرض الواحدة المشتركة 49.

وفي مناسبة أخرى تقول الراوية: **50 "أؤكد لك مجددا، نحن الأكراد، سكان المهاجر، أكثر من عشر سنوات وأنا هنا، ولا أزال منتظرة ديوني، كان جدي، كما تعلمين، يكرّرها، وقد ورثها أبي، وورثتها أنا: "نحن الدائنون الأبديون، هذه الأرض ليست لنا.**

كنت أسأل جدي: "وهل لنا أرضٌ أخرى نبحث عنها؟"، فيقول: "هذه أرضنا، وهم مدينون لنا بها، وسنظل نحن الدائنون الأزليون في عجزٍ دائم، ما لم نحصل على ديوننا". لم أكن أفهم جدي. غادرت أرضي، باعتبارها ليست حقا لي، وهاجرت كما (هاجار) و(إدريس) وبقية المهاجرين من الأكراد، بحثا عن وطن في المنفى، أنا جدي تائه كما كنتِ تدعينني. نعم، نحن الأكراد جداءٌ ضالّة، لا تزال تبحث عن أمّها التي فقدتها في زحمة ما، في مزحة ما، في لعبة ما. ياه! متى يسدد لنا العالم ديوننا؟ أم أنها ديون ميّتة، لا تأتي، أو تأتي في وقت لا يتوقعه أحد؟!

فسلب أرض الكورد جعلهم في حالة دائمة متوارثة من عدم الأمان، هذا الشعور الذي نقل من الجد إلى الابن ثم البنت، مما سبب لهم عجزا وفراغا دفعهم إلى المغادرة إلى المنفى للبحث عن الوطن، فتشبه (صوفي) حالة الضياع التي كانت تمر بها كشعور طفل فقد أمه في زحمة ما ولعبة ما، ولكنها لا تزال متأملة بأن يسدد العالم ديون الأكراد في وقتٍ ما وذلك من خلال الاعتراف بحقوقهم في الأراضي التي كانوا ولا يزالون يعيشون عليها بوصفها جزءاً لا يتجزء من هويتهم ووجودهم في هذه الحياة.

إن أحد مقومات بقاء أي أمة تتمثل في وجودها على رقعة جغرافية معلومة الحدود والمساحة، فثقافة الملكية الخاصة بالمجتمع تنبنى على أساس " الطابع العام الذي يميز شخصية أية مجموعة من السكان القاطنين في رقعة جغرافية معينة، ويرسم الحدود النفسية والتواصل المعنوي بين هؤلاء الأفراد الساكنين داخل الوطن الواحد والمعبر عنهم بالمواطنين"51.

وفي مناسبة أخرى في الرواية نجد حواراً حول الوطن بين سيرل وصوفي (حنيفة الكوردية) جاء في هذا الحوار : 52

"كفي عن بحثك عن الوطن.. الوطن هو أنت، انظريني، ها أنا ذا فرنسي، ماذا تعني لي فرنسا؟ لا شيء، المهم هو أنا، وليس الأرض ..الوطن هو الإنسان، أما الأرض فهي مجرد شيء، مكان، ظرف.. وظيفته تقديمنا، وها أنت أخيراً موجودة، سواء أوَجدت كردستان أم لا، كردستان هي أنت!

قالت له وهي تستند على حافة الكنبة حيث رمى سيريل فراشه بجوارها:

-أنت تقول هذا لأنك فرنسي، لأنك تملك الوطن، تعرف طعمه، لقد قالها الفرنسي ذاته حين تحدث عن الفلسطينيين، حين يصبح للفلسطينيين وطن سوف يرمونه في البحر، هذا صحيح ربما، أنتم ترمون أوطانكم من النافذة، كما قد يشتم أي ولد عاق أمه، وهذا حقه، حقّه أن يكون عاقاً، وأن يشتم أمه ولكن فقط عليه أن يكون ابنا أولاً، أما نحن الأكراد، فلا نشعر بطعم الوطن. حين نحس بطعمه سنقرر بإخلاص مشاعرنا، ربما أرميه من النافذة، ولكني لا أستطيع تجاهل وطن لم أحصل عليه.

على الرغم من محاولات (سيريل) المتكررة في إقناع (صوفي) لكي تكف عن البحث عن أرضها، وعدم أهمية المكان التي يأتي منه الإنسان، والمهم هو وجود الإنسان أينما كان، فهو كفرنسي يصرح أن فرنسا لا تعني له شيئاً، ولكن دون جدوى، فـ(صوفي) لا تقتنع بهذا الكلام لأنها ترى أن الذي يتحدث قد ذاق طعم الوطن وأنه ممكن بين الحين والآخر أن يترك وطنه ويعود إليه كما يريد، أما مشكلة الكورد فهم لم يذوقوا بعد طعم الوطن ولم يروه حتى يقرروا الخلاص منه من عدمه، فالمشكلة إذن مختلفة بين فرنسي عاش في وطن آمن ثم بدأ يتنكر له لأنه باستطاعته العيش بأمان خارج هذا الوطن الذي ذاق طعم الأمان فيه، وبين كوردي لم يعرف ما هو الوطن وكيف شكله، فهناك فرق كبير بين من يتحدث عن الوطن وهو يمتلكه ومن يتحدث عنه وهو لم يره!.

رابعاً: العنصر القومي:

تُعد القومية من عناصر الهوية، ولها تعريفات عديدة، فالنظرية الألمانية اعتبرت أن اللغة هي أساس تكوين القومية، في حين أن النظرية الفرنسية ترى أن إرادة العيش المشترك هي الأساس التي تقوم عليه القومية، والقومية تُعرّف على" أنها أيديولوجيا سياسية، ثقافية، دينية، تقوم على الفكر الوطني وذلك من خلال الانتماء لأمة واحدة ذات مشاعر وطنية واحدة، تتميز بالوعي القومي والإحساس بوحدة المصير والأهداف المشتركة" 53.

إن القومية تعبير عن انتماء الناس بأرضهم وانتمائهم وولائهم، ووجود رباط يربطهم ببعضهم البعض، كالعرق أو الهوية الثقافية أو الدين، ويمكن أن نستنتج من هذا أن العلاقة بين الفرد والبقعة الجغرافية التي ينتمي إليها هي علاقة غير مباشرة، فهو معني بالقوم الذي ينتمي إليهم ويتواجد على الأرض.

وفي الرواية إشارات كثيرة على القومية الكوردية، من ذلك: 54

كانت صوفي تستغل أحيانا استغراقه في النوم، فتفتح حاسوبها، وتكتب، فيسألها .....(ماذا تكتبين؟)، فتجيبه :(أكتب عن الوجودية الكردية)،..... قد تدرك صوفي ذات يوم، أنها أخطأت في استخدام مصطلح (الوجودية الكردية)، لأنها قيدت الوجودية بحالة إثنية، والوجودية هي التي ترفض الانتماء إلى الجماعات، ربما كانت تريد أن تعبر عن قلقها الوجودي المرتبط أيضا بكونها منتمية إلى عرقٍ يشعر أنه منبوذ اجتماعيا، ولأسباب في جوهرها سياسية، إضافة إلى تكوينها الفردي المتداخل، ككائن يعاني من أزمات الانتماء، وكامرأة تحمل عبء الشرق.

ففي هذا النص إشارة إلى القومية الكوردية وكيف أنها أصبحت تشغل الفرد الكوردي في زمن بدأ معظم العالم يحتمي بإثنيته ويعتز بها رغم إنكار الوجودية الفلسفية هذا الأمر، إلا أن الواقع فرض على الكوردي أن يلجأ إلى إثنيته وقويمته كنوع من الحماية الذاتية والجماعية من بقية الجماعات التي تفرض وجودها الإثني بالقوة على الآخرين.

وفي مناسبة أخرى من الرواية نجد تأكيداً من حنيفة (صوفي) على الهوية القومية والاعتزاز بها وعدم الاحراج من ذكرها، تقول الراوية: 55

كانت حنيفة، ابنة حماها، تسخر منها حين تصلي، فهي تخطئ في استعمال الآيات والسور، ولا تعرف الكلمات، فتقول فريدة بغضب: (الله يقبل صلاتي، المهم النية ، ثم تضيف: (أنا كردية، وهكذا أصلي).

وفي هذا النص نلاحظ أن استعمال الكاتبة لضمير (أنا) دلالة على قوة الذات والتأكيد عليها، وأيضاً فيه تعبير عن قوة الانتماء إلى الجماعة أو القومية.

v. **الخاتمة**:

- رواية حبل سري رواية هوياتية بامتياز؛ إذ تطرح إشكالية الهوية الكوردية وصراع الكورد في هذا الزمن لإثبات ذاتهم ووجودهم في هذه الحياة.
- كشفت رواية حبل سري عن التأزم الكبير الذي يعاني منه الشعب الكوردي فيما يخص هويته وانتماءه خاصة في سورية، وتحت النظام البعثي المتسلط الذي قيد حرية الشعب الكوردي في المحافظة على لغته وثقافته الكوردية من خلال منعه من ممارسة وتعليم لغته في مؤسسات الدولة.
- أظهرت الرواية أن الهوية والاعتزاز بالذات جزء لا يتجزأ من شخصية الإنسان؛ لذا وجدنا معظم الشخصيات الكوردية في الرواية تنتمي إلى إيديولوجيا خاصة وتحاول الدفاع عنها باعتبارها بشتى الوسائل.
- أوضحت الرواية أن الهوية التي يدافع عنها الكورد في هذا العصر تتمثل في عناصر معينة كاللغة والثقافة والقومية والمكان.

- حاولت الرواية بلغة مباشرة تارة وبلغة غير مباشرة تارة أخرى الدفاع عن القضية الكوردية وإثبات حق الشعب الكوردي في المطالبة بوطن يلم شملهم ويعيشون فيه بأمن وأمان مثلهم مثل بقية أمم وشعوب العالم.

vi. الهوامش والمصادر:

(1) معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو ودومينيك منغنو، تر: عبد القاهر المهيري وحمادي صمود، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008 ،ص291.

(2) مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، محمد عمارة، ط1 ،دار النهضة، مصر، 1999 ،ص 6.

(3) العرب والعولمة، محمد عابد الجابري: مركز دراسات الوحدة العربية القاهرة 1998 ص298.

(4) تجديد مفهوم الهوية الوطنية (وفق المنهج الاستنباطي)، إعداد الباحث: عبدالواحد حركات أبو بكر، بنغازي- ليبيا، 2020.

(5) الهوية والتصارع مع الذات" دعوة للنهضة الفكرية وإعادة صياغة المفاهيم"، أشرف حافظ، دار كنوز للمعرفة، الأردن، 2012، ص29.

(6) الأنا والهو، سيجموند فرويد، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق ،القاهرة،ط4، 1982، ص46.

(7) الهوية والصراع مع الذات" دعوة للنهضة الفكرية واعادة صياغة المفاهيم"، أشرف حافظ، ط1 ، دار كنوز للمعرفة، الأردن، 2012،ص37.

(8) الهوية، أليكس مكشللي، تر: علي وطفة، دار الوسام، دمشق، ط1 ،2012 . ص:11 -14.

(9) سيسيولوجيا الثقافة والهوية، هارلمبيس وهولبورن ، حاتم حميد محسن، ط1 دار كيوان، دمشق، 2010، ص92.

(10) مفاهيم عالمية للهوية، عزيز العظمة وآخرون، تر: عبد القادر قنيني، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، ط1 2005، ص67-68.

(11) نظرية الرواية: فيصل الدراج، المركز الثقافي العربي، ط1 ،1999م، ص2

(12) بعض مؤشرات الحفاظ على الهوية، د. سليمان العقيل، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد 16، ص243

(13) الحفاظ على الهوية والثقافة الإسلامية، عبدالعزيز التويجري، ص9.

(14) في الهوية الأمازيغية للمغرب، محمد بودهان، سلسلة في سبيل الأمازيغية، ط3 ،منشورات تاويزا 5 : -المغرب،2013، ص،29-30.

(15) الهوية وتجلياتها السردية في أعمال إميل حبيبي، يوسف حسين حمدان، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية دراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2007، ص19.

(16) أزمة البحث عن هوية في مواجهة الحضارة الغربية، المسلمون وحوار الحضارات في العالم المعاصر، د. محمد النبهان، مؤسسة آل البيت المجتمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، الدورة العاشرة.

(17) التعليم وأزمة الهوية الثقافية، محمد عبد الرؤوف عطية، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 ،2009م ،ص 46.

(18) ظاهرة الاغتراب في النقد العربي، المصطفى الشادلي، مطبعة آنفو برانت، فاس المغرب، ط1 ،2009م، ص33.

(19) أزمة الهوية والثورة على الدولة في غياب المواطنة وبروز الطائفية، عبير بسيوني رضوان، ص31.

(20) اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي، جلبير غراننغيوم، تر: محمد أسليم، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، دط ، 2011م ، ص 87.

(21) ظاهرة الاغتراب في النقد العربي، المصطفى الشادلي، ص159-160.

(22) اللغة في المجتمع، م م لورين، تر: تمام حسان، عالم الكتب، مصر القاهرة ، د. ط ، 1423هـ ،2003م، ص11.

(23) ملامح الهوية في السينما الجزائرية ، موالي أحمد، إشراف د: بن ذهيبة بن نكاع، مذكرة لنيل درجة الدكتو راه، كلية الأدب والفنون، قسم الفنون الدرامية، جامعة وهران، 2012 ،ص 118.

(24) حبل سري، مها حسين، ط2، دار ممدوح عدوان، سوريا، دمشق، 2019، ص327 .

(25) حبل سري، ص267.

(26) اللغة الرسمية والهوية الوطنية في ظل المجتمع المتعدد اللغات، مجاهد ميمون، مجلة حوليات التراث - العدد 6، 2006، الجزائر، ص 82.

(27) حبل سري، ص326.

(28) نذكر على سبيل المثال قرار محافظ الحسكة رقم 1012 لعام 1986 الذي منع التحدث باللغة الكردية في أماكن العمل، والقرار رقم 1865 الذي أكد على القرار السابق ومنع أيضاً الغناء بغير اللغة العربية في الأعراس والأعياد، ينظر: الحرمان من اللغة الأم كأحد أشكال "الإبادة الثقافية" المستمرة في سوريا:
https://stj-sy.org/ar

(29) إنكار الوجود – قمع الحقوق السياسية والثقافية للأكراد في سوريا. هيومن رايتس وتش. 26 تشرين الثاني/نوفمبر
. https://www.hrw.org/ar/report/2009/11/26/256004.2009

(30) مشكلة الهوية، مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي ، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط4 .2000، ص71.
(31) الثقافة العربية في عصر العولمة، تركي أحمد، دار الساقين مصر، ط1 ،2007، ص15.
(32) اللغة والثقافة، دراسة أنثر ولغوية الألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية، كريم زكي حسام الدين، دار غريب، القاهرة، مصر، ط2 .2001 ، ص57.
(33) المصدر السابق، ص58.
(34) سوتيولوجيا الثقافة والهوية، هارلميس و آخرون، تر: حائم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1 .2010 .ص7.
(35) التعليم وأزمة الهوية الثقافية، محمد عبد الرؤوف عطية ص 19.
(36) حبل سري، ص362.
(37) ملامح الهوية في السينما الجزائرية، موالي أحمد، إشراف: بن ذهيبة نكاع، مذكرة لنيل درجة الدكتوراه، كلية الأدب والفنون، قسم الفنون الدرامية، جامعة وهران، 2018، ص88.
(38) http://www.welateme.net/cand/modules.php?name=News&file=article&sid=2777#Yn.OgzbIU66_ .
(39) حبل سري، ص361-362. .
(40) 70953https://ronahi.net
(41) مقدمة لدراسة الفولكلور الكردي، التراث الشعبي، عزالدين مصطفى رسول. مطبوعات الأكاديمية الكوردية، ع123، ط2 2011، ص112.
(42) مصدر سابق. ص7.
(43) حبل سري،362.
(44) حبل سري، ص206-207.
(45) https://elaph.com/amp/Web/Opinion/2018/2/1191086.html.
(46) السؤال عن الهوية (في التأسيس والنقد والمستقبل)، البشير بوح، دار الأمان الرباط، ط1، 2016، ص 306.
(47) حبل سري، ص 107.
(48) حبل سري، ص127.
(40) السؤال عن الهوية (في التأسيس والنقد والمستقبل)، البشير بوح، دار الأمان الرباط، ط1، 2016، ص 306.
(50) حبل سري، ص129.
(51) هذي هي الثقافة، أحمد بن نعمان: دار الأمة، الجزائر، دط، دت، ص23.

(52) حبل سري،132.
(53) معالم الدولة القومية الحديثة في الفكر العربي المعاصر، مليكة سعداوي، أحلام حسني، رسالة ماجستير، جامعة الجيلاني بونعامة، الجزائر، 2017.
(54) حبل سري، ص 125.
(55) حبل سري، ص265.